الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر : دراسة وتخطيط* .

عرض وتحليل

مصطفى حسين

معيد بقسم المكتبات. آداب المنوفية

ترجع أهمية هذا البحث إلى أن تراثنا العربى المخطوط الذى لم ينشر بعد، هو أغنى وأنفس ما تقتنيه مكتباتنا الوطنية والعامة والخاصة، حيث تحتفظ المكتبات المصرية برصيد هائل من المخطوطات العربية تمثل مختلف القرون والموضوعات، ولها أهميتها الخاصة فى البحث كمصادر أولية للمعلومات، فضلاً عن أهميتها كتراث قومى. فكل نسخة من نسخ المخطوط ـ مهما تعددت ـ لها قيمتها الذاتية، لأنها كثيراً ما تختلف عن بعضها من حيث مظاهر توثيق النص؛ من مداد وخطوط وأحجام، ونوع الورق، والتمليكات، والسماعات والإجازات، وتاريخ النسخ وغير ذلك.

ولا يخفى عن بالنا أن هذا التراث المخطوط الضخم، يغطى فترة زمنية تربو على اثنى عشر قرناً من الزمان، تمثل فى أغلبها أزهى فترات الحضارة العربية الإسلامية، وهى الفترة التى كان العرب خلالها يحملون لواء الحضارة الإنسانية، وكانت لغتهم هى لغة العلم عالمياً.

ومما لا شك فيه أن هذه المخطوطات تحمل بين طياتها مادة علمية خصبة قيمة كانت ومازالت محلاً للدرس والبحث من جانب نفر غير قليل من الباحثين والعلماء والمشتغلين فى قطاعات العلوم المختلفة لاسيما ما يتعلق منها بالدراسات التاريخية والأدبية واللغوية والإسلاميات.

وليس ثمة شك فى أن الضبط الببليوجرافى لهذا النوع من أوعية المعلومات يمثل تحدياً كبيراً فقط أمام الباحثين والدراسين ولكن أيضاً أمام المكتبيين، لذلك أهتم بعض العلماء والباحثين بنشر قوائم لبعض ما تحتويه المكتبات من مخطوطات، وذلك كنوع من الإعلام الببليوجرافى عن هذه الأوعية.

* السيد السيد النشار . الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر : دراسة وتخطيط . ـ رسالة دكتوراه كلية الأداب. جامعة الاسكندرية، ١٩٩٤ .

ولقد رأى الباحث أن يقوم بدراسة ما تم من جهود فى هذا المجال دراسة لتقييم الأداء، تمهيداً، لوضع تخطيط علمى لمشروع الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر، ضبطاً على أسس علمية مدروسة..

ويهدف الباحث من إجراء هذا البحث إلى الاجابة على الأسئلة التالية:

١ – ما هى أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر؟

٢ – ما مدى كفاءة القائمين على إعداد الأدوات؟

٣ – ما هى درجة الاكتمال والشمول فيما تغطيه هذه الأدوات؟

٤ – ما هى درجة الشمول والدقة فيما تقدمه هذه الأدوات من بيانات ببليوجرافية؟

٥ – إلى أى مدى تحقق نظم ترتيب وتنظيم التسجيلات الببليوجرافية فى هذه الأدوات سهولة الوصول إلى محتوياتها من هذه التسجيلات، وما تضمنته من بيانات ببليوجرافية؟

٦ – ما هى إمكانيات ومتطلبات تطوير أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات فى مصر وكيف يمكن للتكنولوجيا الحديثة للمعلومات أن تسهم فى هذا التطوير؟

ومن خلال محاولة الإجابة على الأسئلة المطروحة، يسعى الباحث إلى تحقيق هدفين:

١ – وصف وتحليل وتقييم أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر. بهدف بيان القيمة الفعلية لهذه الأدوات، وبيان نواحى القوة والضعف فيها.

٢ – التخطيط العلمى السليم لمستقبل هذه الأدوات فى مصر فى ضوء الإمكانات التى تتيحها التكنولوجيا الحديثة للمعلومات بحيث يكون لدينا فى النهاية تسجيلة ببليوجرافية تصف بطريقة مقننة كل كتاب مخطوط عربى فى مصر.

فروض البحث

قام الباحث بصياغة فروض البحث على أساس الإطار النظرى والدراسات السابقة، فوضع فرضين لضبط مسار هذا البحث، وتوفير الإطار الذى يحكم المراحل المختلفة لخطوات إعداده.

١ – لا تُحقق الإمكانات الحالية لأدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر أهداف هذا الضبط ومتطلباته.

ألا وهى: حصر رصيد المكتبات المصرية من المخطوطات العربية وتسجيله ووصفه وتنظيمه، وما يتطلبه ذلك من إنشاء أدوات ببليوجرافية تحقق شمول التغطية واستنادية التسجيلات والوصول السهل والسريع والدقيق إليها، وذلك إعتماداً على الركائز الفنية من تقنيات وقواعد ومعايير فضلاً عن العنصر البشرى المؤهل.

٢ – يتطلب الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر تطوير الإمكانات الحالية لأدواته وزيادة فعالية أدائها فى ضوء استخدام التكنولوجيا الحديثة للمعلومات.

هذا وقد مرت الدراسة بعدة مراحل يكمل بعضها البعض على النحو التالى:

المرحلة الأولى: وهى مرحلة بناء وتكوين الإطار النظرى للبحث من خلال قراءة واستيعاب الإنتاج

الفكرى الصادر فى موضوعى المخطوطات والضبط الببليوجرافى.

المرحلة الثانية: دراسة الوضع الراهن للرصيد المصرى من المخطوطات العربية وذلك عن طريق حصر شامل للمكتبات فى مصر التى تحتوى ضمن مجموعاتها على مخطوطات عربية، ودراسة واقع هذه المخطوطات واتجاهاتها العددية والنوعية وفقاً لقائمة المراجعة.

المرحلة الثالثة: جمع البيانات التى تمكن من تحديد الإمكانات الحالية لأدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر. وتشتمل هذه المرحلة على الخطوات التالية:

١ - حصر أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر.

٢ - دراسة تفصيلية لأدوات الضبط الببليوجرافى وقياس مجموعة من العناصر الفنية والوظيفية فيها وهى:

- كفاءة القائمين على إعداد الأدوات.
- اكتمال وشمول التغطية.
- شمولة ودقة الوصف الببليوجرافى.
- تنظيم وترتيب التسجيلات فى الأدوات.

المرحلة الرابعة: وهى مرحلة تحليل البيانات التى أسفرت عنها المرحلة السابقة.

المرحلة الخامسة: وهى مرحلة استخلاص النتائج، والتى على ضوئها أمكن وضع تصور لتخطيط مستقبل الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر.

هذا وتقع الدراسة فى أربعة فصول، فضلاً عن الفصل التمهيدى والخاتمة.. - ويبدأ الفصل الأول «المخطوطات العربية فى المكتبات فى مصر دراسة لواقعها واتجاهاتها العددية والنوعية» - بحصر أماكن مجموعات المخطوطات العربية فى مصر وتحديد المكتبات التى تحتوى ضمن مقتنياتها على مخطوطات عربية، ثم يتعرض الفصل لدراسة المؤشرات العددية والنوعية للتوزيع الزمنى والموضوعى لذلك الرصيد، ثم يعرض هذا الفضل أيضاً للمعالجة الفنية للمخطوطات من حيث مصادر حصول المكتبات عليها، ومشكلات حفظها وصيانتها، ثم مدى توافر أدوات التعريف بها من فهارس وقوائم مطبوعة. ويختتم الفصل بالحديث عن أنماط الإفادة من تلك المخطوطات فى المكتبات المصرية وتقييمها بقياس مدى الإفادة منها.

أما الفصل الثاني وعنوانه «كفاءة القائمين علي إعداد أدوات الضبط واكتمال التغطية فيها» فهو يدور فى إطار تحقيق الهدف الأول لهذه الدراسة. أى بيان القيمة الفعلية لأدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر، وبيان نواحى القوة والضعف فيها - ويهدف هذا الفصل إلى تحقيق هدفين:

الأول: تحديد أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر التى ستتم دراستها، وذلك من خلال الأعمال التى استهدفت حصر المخطوطات العربية فى المكتبات المصرية (كلياً أو جزئياً)، والثانى: تطبيق المعيارين الأول والثانى من المعايير النوعية التى اتخذت سبيلاً إلى كشف تلك الإمكانات، وتحديد درجة فعاليتها، وهما معيارا كفاءة القائمين على إعداد الأدوات، ومعيار قياس اكتمال التغطية فيها.

والفصل الثالث « الوصف الببليوجرافي والتنظيم في أدوات الضبط»

خصص لدراسة وتطبيق المعيارين الثالث والرابع من المعايير النوعية التى أختيرت لقياس فعالية الأدوات، وهما قياس مدى شمول البيانات الببليوجرافية ودقتها التى تقدمها الأدوات عن التسجيلات الببليوجرافية للمخطوطات العربية، ومدى قدرة نظم ترتيب وتنظيم هذه التسجيلات فى الأدوات على تحقيق الوصول السريع والسهل والدقيق إلى تلك التسجيلات.

وبناءً على ما تقدم فإن هذا الفصل يهدف إلى الإجابة على السؤالين التاليين:

١ – ما هى درجة استنادية التسجيلات الببليوجرافية فى أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر؟

٢ – إلى أى مدى تحقق نظم ترتيب وتنظيم التسجيلات فى الأدوات سهولة الوصول إلى محتوياتها من هذه التسجيلات، وما تتضمنه من بيانات ببليوجرافية؟

ولقد حاولت الفصول السابقة أن تحقق الهدف الأول من هذا البحث وهو وصف وتحليل وتقييم أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر، بهدف بيان القيمة الفعلية لهذه الأدوات وبيان نواحى القوة والضعف فيها، فى ضوء المعايير النوعية الأربعة التى اتخذت سبيلاً للقياس وهى كفاءة القائمين بالإعداد، اكتمال التغطية، شمول ودقة بيانات الوصف، نظم ترتيب التسجيلات فى الأدوات.

ولقد تبين للباحث – من خلال النتائج والمعطيات – صدق فرض البحث بأن الامكانات الفعلية لأدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر، لا تحقق أهداف هذا الضبط ومتطلباته، ومن ثم تتطلب تطوير الأدوات وزيادة فعاليتها فى ضوء التكنولوجيا الحديثة للمعلومات.

ومن هذا المنطلق يسعى الباحث فى الفصل الرابع – «مستقبل الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر: تصور مقترح» – إلى تحقيق الهدف الثانى للبحث وهو وضع تصور لمستقبل هذا الضبط عن طريق التخطيط العلمى السليم له، وذلك فى ضوء الإمكانات التى تتيحها التكنولوجيا الحديثة للمعلومات.

وليس هناك أدنى شك أو جدال فى أن تخطيط أو تصميم الضبط الببليوجرافى، يتطلب تضافر جهد جماعى، ينبع من مجموعة من المتخصصين، والباحث هنا يواجه تحدياً كبيراً ومجهوداً غير مسبوق فى أن يضع تصوره المستقبلى للضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر معتمداً على النتائج التى أسفرت عنها الدراسة، كما يعتمد على قراءاته فى أدب الموضوع، ويتمثل هذا التصور فى إعداد «فهرس موحد للمخطوطات العربية فى مصر».

ويشير الباحث إلى أن الهدف العام لهذا الفهرس الموحد المقترح يكمن فى: حصر ووصف مقتنيات المكتبات المصرية من المخطوطات العربية وصفاً ببليوجرافياً وموضوعياً بحيث يتيح التعرف على أى منها بسهولة والوصول إليها فى أقصر وقت ممكن وبأقل جهد وأيسر الطرق، ومن ثم فإن هذا الفهرس

الموحد هو مفتاح كنوز المكتبات المصرية من المخطوطات وهو القنطرة التى يعبر عليها الباحث وصولاً إلى مقتنياتها.

كما يشير الباحث إلى حتمية استخدام التكنولوجيا الحديثة للمعلومات فى إعداد الفهرس الموحد المقترح للمخطوطات العربية فى مصر. مستنداً على حجم تسجيلات هذا الفهرس والتى تبلغ أكثر من ٣٠٠ ألف تسجيلة، وما قد يتطلبه هذا الكم الهائل من عمليات الإعداد والتجهيز والفرز والترتيب والمراجعة والتوضيب، وإعداد الكشافات اللازمة لها.

كما وضع الباحث تصوراً مقترحاً لمراحل إعداد الفهرس الموحد المحسب المبنى على نظام مينيزيس: MINISIS . بدءاً من المرحلة التمهيدية والمتمثلة فى دراسة الجدوى لهذا المشروع الضخم ومروراً بمرحلة الإعداد الفنى ومرحلة الإدخال والمعالجة ووصولاً إلى مرحلة بث المخرجات.، ولقد وضع الباحث شروطاً لنجاح هذا النظام متمثلة فى:

١ – مرونة التخطيط.

٢ – أن يبدأ العمل بمكتبة ما، إذا انتهى المفهرسون من تجميع بيانات مجموعاتها من المخطوطات انتقلوا إلى المكتبة الأخرى وهكذا.

٣ – ثبات العاملين فى وظائفهم المحددة.

٤ – ثبات خطة التنفيذ وعدم تغييرها من آن الآخر.

٥ – أن يعقد اجتماع دورى لفريق العمل لمتابعة المشاكل التى تنشأ باستمرار.

نتائج البحث:

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والمؤشرات على امتداد فصول الرسالة الأربعة الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر: دراسة تحليلية تقييمة لأدواته والتخطيط لمستقبله. وسوف نعرض نتائج كل فصل على حدة كالآتى:

النتائج التى خرج بها الباحث من الفصل الأول «واقع المخطوطات العربية بالمكتبات المصرية واتجاهاتها العددية والنوعية.

ـ تملك المكتبات المصرية رصيداً ضخماً من المخطوطات العربية يبلغ ١٠٤٦٧٧ مجلداً تتوزعه ٥٦ مكتبة، تتشتت بين أنحاء مدن الجمهورية.

ـ يغطى هذا الرصيد المصرى من المخطوطات العربية موضوعياً جميع فروع المعرفة البشرية بنسب متفاوتة، وكذلك يمثل هذا الرصيد زمنياً جميع القرون الهجرية بداية من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر.

ـ المصدر الرئيسى لبناء المجموعات من المخطوطات العربية كان هو الإهداء، ثم الوقف، فالشراء بأسعار زاهيدة.

ـ تعانى المخطوطات من سوء الحفظ فى المكتبات المصرية، كما أنها لا تحظى بأى نوع من الصيانة والمعالجة والترميم.

ـ تعانى المكتبات من نقص حاد فى أدوات التعريف بمحتوياتها من المخطوطات إذا يبلغ عدد المكتبات التى لها فهارس ١٥ مكتبة من بين ٥٦ أى أن ٤١ مكتبة لا يعرف أحد عن مجموعاتها الخطية شيئاً.

ـ أما عن أنماط الإفادة من المخطوطات فتركزت فى خدمتين هما الاطلاع الداخلى والتصوير.

وأوضح الفصلان الثانى والثالث عدم فعالية أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر، حيث أسفر الدراسة عن النتائج والمؤشرات التالية:

١ – من حيث كفاءة القائمين على إعداد أدوات الضبط: تبين أن عدد الأدوات التى توافرت المتطلبات العلمية والفنية فى القائمين بالإعداد، سبع أدوات بنسبة مئوية قدرها ٣٨,٨٨٪ من اجمالى عدد الأدوات.

٢ – من حيث اكتمال التغطية، فعلى الرغم من أن نسبة اكتمال التغطية فى كل من الأدوات الثمانية عشرة بلغت ـ فى ضوء المجال الذى اختارت كل منها تغطيته ـ ١٠٠٪ إلا أن مجموع ما تم تغطيته فى هذه الأدوات ٥٩٢٨٠ مخطوطا بنسبة مئوية قدرها ٥٦,٦٢٪ من اجمالى عدد المخطوطات فى المكتبات المصرية والبالغ ١٠٤٦٩٦ مخطوطا عربياً، أى أن ما لم يتم تغطيته من رصيد المكتبات هو ٤٣,٣٨٪.

ومن حيث اكتمال ودقة البيانات الببليوجرافية تبين:

ـ أن عدد التسجيلات غير الشاملة ٩٦٠ تسجيلة من بين ١٠٣٥ تسجيلة تكونت منها قائمة اختبار الوصف، أى بنسبة مئوية قدرها ٩٢,٧٥٪، وأن هناك أداتين فقط قد جاءت جميع تسجيلاتهما شاملة لعناصر البيانات هما فهرس مصطلح الحديث، وفهرس مخطوطات عين شمس.

ـ أن عدد التسجيلات غير الدقيقة ١١٣ تسجيلة بنسبة مئوية قدرها ١٠,٩١٪ وأن أكثر الأدوات تضمنت تسجيلات غير دقيقة هو فهرس مخطوطات الإسكندرية بنسبة ٧٠,٩٠٪.

ـ ومن حيث تنظيم التسجيلات فى الأدوات تبين أن هذه الأدوات، على الرغم من أنها وفرت مداخل لاسترجاع التسجيلات التى تحتوى عليها وفقاً للمحتوى الموضوعى، و/أو وفقاً لأسماء المؤلفين، و/أو وفقاً للعناوين و/أو وفقاً لتاريخ النسخ، إلا أن هذه الأدوات ـ ما عدا فهرس المخطوطات العلمية ـ لا تلبى احتياجات المستفيدين الوظيفية والاستخدامية منها وذلك لعدم توافرها لواحد أو أكثر من مداخل الاسترجاع السابقة.

وفى ضوء هذه المؤشرات والنتائج استطاع الباحث أن يؤكد صدق فرض البحث الذى وضعه، أى أن أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر لا تحقق أهداف هذا الضبط ومتطلباته، وتأسيساً على ذلك يتطلب تطوير أدواته وزيادة فعاليتها فى اطار استخدام التكنولوجيا الحديثة للمعلومات.

وإذا كان الفصلان الثانى والثالث قد تناولا وصف وتحليل وتقييم أدوات الضبط بهدف بيان القيمة الفعلية لهذه الأدوات وهو الهدف الأول للدراسة، فإن الفصل الرابع قد حاول المساهمة فى تحقيق الهدف الثانى بوضع تصور لمستقبل الضبط الببليوجرافى عن طريق التخطيط لانشاء فهرس موحد للمخطوطات العربية فى مصر.

التوصيات

توصل الباحث فى نهاية دراسته إلى التوصيات التالية، والتى نوجزها فيما يلى:

١ - ضرورة تطبيق التصور المقترح فى الفصل الرابع وهو إنشاء فهرس موحد للمخطوطات العربية فى مصر.

٢ - دراسة تكاليف إعداد وإخراج الفهرس الموحد المقترح وفقاً لنظم ومقاييس تحليل التكلفة المعروفة.

٣ - دراسة تسويقية تقيس امكانات نجاح خدمات توزيع الفهرسة الناتج عن تطبيق التصور المقترح.

٤ - دراسة لصياغة أو وضع شكل معيارى للتسجيلات الببليوجرافية الخاصة بالمخطوطات العربية من أجل اتاحتها لمن يريد من المكتبات فى داخل مصر وخارجها.

٥ - قياس أنماط الإفادة من أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر، أو سلوك المستفيدين من استخدامها.

٦ - دراسة فعالية فهارس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية كركيزة لانشاء فهرس للمخطوطات العربية على مستوى العالم.

٧ - دراسة مجموعات المخطوطات العربية بالمكتبات العربية وبالمكتبات المسيحية من حيث الملامح المادية والببليوجرافية، ومدى تأثير الثقافة العربية الإسلامية على المخطوطات المسيحية.

٨ - دراسة فعالية فهارس المخطوطات العربية بالمكتبات المسيحية فى مصر.

٩ - وأخيراً التوصية لدى وزارة الثقافة بضرورة العمل على صيانة المخطوطات وترميمها وحفظها، وكذلك نشر الوعى لدى الرأى العام بأهمية المخطوطات كتراث قومى، وحث الأفراد والأسر التى تقتنى مخطوطات فى مكتباتهم الخاصة على تسليم ما لديهم من مخطوطات لحفظها وصيانتها واتاحتها للاستخدام من قبل المكتبة القومية..

هذا وقد أنهى الباحث دراسته بأربعة ملاحق هى عبارة عن:

الملحق الأول: عبارة عن استمارة مقابلة عن مجموعات المخطوطات العربية فى المكتبات المصرية.

الملحق الثانى: عبارة عن استمارة حصر المخطوطات العربية: التوزيع الموضوعى والزمنى.

الملحق الثالث: يضم نماذج مصورة من أدوات الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية.

الملحق الرابع: يضم نماذج من قوائم اختبار التغطية.

وأخيراً نوّد أن نؤكد على أن هذه الدراسة عميقة فى مضمونها صادقة فى أهدافها، وهو الحفاظ - على تراثنا القومى المتمثل فى المخطوطات والذى يعد أنفس وأغنى ما تقتنيه مكتباتنا المصرية على الإطلاق - من الضياع أو الاندثار و/ أو الإهمال. وذلك من خلال مجموعة النتائج والمؤشرات والتوصيات التى توصل إليها الباحث، وذلك عن طريق ضبطها وإنشاء فهرس موحد لها،

وتحديد المعايير والمواصفات الخاصة بمخازن حفظ المخطوطات وصيانتها.

وليس هناك ثمة جدال فى أن الباحث بتصديه لهذا الموضوع، يفجر لنا مادة غنية بالبحث والدراسة، لاستكمال ما توصل إليه فى موضعه وهو مدى الإفادة من مجموعة المخطوطات الموجودة فى مكتباتنا المصرية، وكذلك الأوروبية والتخطيط لإنشاء فهرس موحد لها محسب، وإنشاء قاعدة بيانات لها.

ومما لا شك فيه أن هذه الدراسة غنية بالملاحق والأشكال والجداول التى تصقل الدراسة عمقاً وتؤكد على صدق النتائج التى توصل إليها الباحث.